

الصفحة: 21 - 34	تاريخ النشر: 2023 / 07 / 31	تاريخ القبول: 2023 / 12 / 19	تاريخ إرسال المقال: 2021/04 / 27	المجلد: 11 / العدد: 2023 / 01
-----------------	-----------------------------	------------------------------	----------------------------------	-------------------------------

## الصحة النفسية وتربية الطفل من الولادة حتى دخول المدرسة

### - دراسة تحليلية لفكر ابن سينا -

## Psychological health and child rearing from birth until entering School - An analytical study of Ibn Sina's thought -

<a href="mailto:tobaldJamel1@gmail.com">tobaldJamel1@gmail.com</a> <a href="mailto:zineoumar@yahoo.fr">zineoumar@yahoo.fr</a>	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله - مخبر الأسرة ، التنمية، الوقاية من الانحراف والاجرام -(الجزائر)	جمال طوبال
--	---	---------------

<p><u>ملخص:</u></p> <p>من المعروف في علم النفس وعلوم التربية أهمية مرحلة الطفولة المبكره في حياة الإنسان، نظراً لكونها حاسمة في تحديد معالم شخصيته، لذلك كانت هذه المرحلة موضع اهتمام المفكرين عبر التاريخ فقد كان للمفكرين العرب والمسلمين باعٌ طويل في هذا المجال يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الصحة النفسية في تربية للطفل، استناداً إلى الفكر التربوي عند أهم المفكرين وعلى وجه الخصوص ابن سينا ، لكي يستفيد منه العاملين في ميدان التربية والتعليم في العناية بالأطفال وتربيتهم بالشكل الأمثل وذلك من خلال نشر هذه المعلومات الهامه وتحليلها وتبسيطها بحيث تشكل ثقافة نفسية وتربوية تكون في متناول الجميع. بما يتناسب مع متغيرات العصر في ظل أزمات التربية والتكوين) وخاصةً مع الثورات المعرفية والتكنولوجية والتقنية المتجددة.</p> <p><u>الكلمات الدالة:</u> الصحة النفسية، الصحة الجسدية، التربية، مرحلة ما قبل المدرسة، الطفولة، ابن سينا.</p>
--

### **Abstract:**

It is known in psychology and education sciences, the importance of the early childhood stage in human life, given that it is crucial in defining the features of his personality, so this stage was the focus of attention of thinkers throughout history, as Arab and Muslim thinkers had a long history in this field, and therefore this research aims to highlight Light on Psychological health in raising a child, based on the educational thought of the most important thinkers, in particular Ibn Sina, in order for workers in the field of education to benefit from it in caring for children and raising them optimally, through the dissemination, analysis and simplification of this important information so that it forms a psychological and educational culture be accessible to all, in line with the changes of the times in light of the crises of education and training), especially with the knowledge and technological revolutions and renewable technology.

**Keywords:** Psychological health- physical health- education- pre-school stage- childhood- Ibn Sina.

### **مقدمة:**

يؤكد عدد كبير من المفكرين أهمية مرحلة الطفولة المبكرة وعلى أثرها في بناء شخصية الإنسان وسلامته في المستقبل، حيث يرى "واطسون" (رائد المدرسة السلوكية) أنه يمكننا أن نقوي شخصية الطفل قبل أن يتجاوز الخامسة من عمره، كما أكد "بلوم" أن أكثر من نصف القدرات العقلية يتكامل نموها قبل أن يتجاوز الطفل الرابعة من عمره، لذلك أطلق العديد من علماء النفس، وعلى رأسهم "بياجيه" (رائد علم النفس التكويني) على هذه المرحلة اسم المرحلة التكوينية، ففيها تتكون الاتجاهات والقيم والانطباعات الأولى عن ذات الفرد والآخرين والبيئة الخارجية والوجود، فالإنسان لا يكون مستعداً في أي وقت من حياته لأن يتعلم بسرعة أكثر من استعداده في هذه الفترة (مطبعة أحمد، و زمرد أميرة (2015)، ص97).

لم يكن رجال التربية الحديثة هم فقط من دعوا إلى ضرورة الاهتمام بالطفل في هذه المرحلة، بل أن الاهتمام في هذا الموضوع بدأ مع بداية البحث التربوي في الفكر الفلسفي اليوناني، حيث يعتبر أفلاطون من أول المهتمين بالطفولة المبكرة. كذلك الأمر في الفكر التربوي الإسلامي، ابتداءً من فكر الرسول الأعظم محمد (ص)، مروراً بجميع المفكرين المسلمين كالإمام الغزالي وابن سينا وغيرهما، إن "ابن سينا"، المعروف بالشيخ الرئيس، الذي ولد عام 370 هـ وتوفي عام 428 هـ (مرحبا، عبد الرحمن (970)، ص474)، كان يُمثّل بفكره نقلةً نوعيةً وصلت بالفلسفة العربية والإسلامية درجه مرموقة من الكمال حيث اكتسبت طابعاً وبعداً إنسانياً، رغم قساوة العصر الذي

عاش فيه هذا المفكر (العصر العباسي الثالث -334 - 447) والذي كان مضطرباً إلى حدٍ بعيدٍ (زيدان، جرجي (1930)، ص220-221). ولا شك بأن ابن سينا بذلك يمثل نقلة نوعية وبوابة عريضة للدخول في الفكر الفلسفي والتربوي والنفسي؛ كيف لا وهو الفيلسوف والطبيب والمربي والسياسي، حيث وصلت الفلسفة العربية والإسلامية به ومن خلاله، وأمثاله ممن عاصروه من الفلاسفة؛ تلك المكانة الرفيعة والدرجة العالية من الكمال.

بدايةً وفي إشارة منا حول أهمية مرحلة الطفولة المبكرة والتي تؤكدتها الدراسات النفسية الحديثة بأن الطفل خلال هذه المرحله يمكن له أن يكتسب ما يقرب من خمسين مفهوماً جديداً كل شهر (البيشي، غزيرل حسين سعد (2008)، ص80)، ومن أهمية فكر ابن سينا العابر للزمن وأهمية ما قاله في تنشئة الأطفال تنشئة سليمة نفسياً وبدنياً، سوف نحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على الفكر التربوي في المرحلة الأكثر أهمية من حياة الإنسان بدءاً من الولادة وحتى دخول المدرسة برأي ابن سينا.

لا شك بأن التحولات والمخاضات الكبرى والتي نشهدها اليوم والتي باتت تعرف باسم (أزمات التربية والتكوين) وخاصةً ونحن نحيا ونعاصر الثورات المعرفية والتكنولوجية والتقنية المتجددة؛ تقتضي منا البحث والتحليل والتقصي في كل المباحث التربوية على أمل استنباط الحلول المناسبة للنهوض بالعملية التربوية بدءاً من مرحلة الطفولة المبكرة

### أولاً: قراءة الفكر التربوي عند ابن سينا:

إن فلسفة ابن سينا عموماً تتسم وبرأي معظم المفكرين والباحثين بالكلية والشمولية؛ فبالرغم من الظروف السياسية المضطربة التي عاشها كما ذكرنا سابقاً، فإنه لم يترك جانباً من جوانب الحياة والوجود إلا وعالجها؛ فكان مفكراً مبدعاً في الفلسفة والطب والنفوس والسياسة والأخلاق وغيرها من العلوم، ولعلنا بدايةً نسلم بالقول أن الفلسفة والتربية وعلم النفس تمثل بدايةً تاريخ الحكماء من بني البشر، ذلك لأن التربية هي عصب الحياة الاجتماعية والسبيل الوحيد والأمثل لبناء المجتمعات (كجماعات وأفراد) ولتعليم القيم والحكمة ونقل الثقافة والتراث.

وبما أن العملية التربوية ونجاحها مرهون بمدى وكيفية العناية بالطفل، لا سيما منذ الولادة وحتى دخول المدرسة، من هذا المنطلق تكتسي قراءتنا للتربية النفسية والجسدية في الفكر التربوي والنفسي عند "ابن سينا" أهميتها الخاصة، كونها تمثل عتاداً فكرياً ونفسياً صلباً نواجه به ومن خلاله التحديات الطارئة والمصاعب والمستجدات من ناحية، وكونها تشكل قراءة لما هو كائن من طرائق وسبل تربوية ونفسية وصحية في زمن مهم

من حضارتنا العربية والإسلامية ، ولما يجب أن تكون عليه العملية التربوية من جهة أخرى، لا سيما وأن السياسة والحكمة، بما فيهما من أخلاق مرتبطة وبصوره مباشرة بجوانب الحياة الاجتماعية كلها ، فلا يخفى على أحد التحديات التي تواجه بلداننا العربية والإسلامية الناتجة عن نظام العولمة وسياساتها وأهدافها الاستعمارية المبطنه ؛ بل وتحديداً عن الآثار السلبية للعولمة على حياتنا عموماً، وعلى أنظمتنا التربوية خصوصاً، بالإضافة إلى وجود أنماط من التفكير المنغلق العاجز عن مواكبة المتغيرات التي فرضها هذا النظام الجديد على مختلف جوانب الحياة عموماً، والذي بات عاجزاً أيضاً عن مواجهة تكاليف الحياة ومتغيراتها الديناميكية؛ وهذا ما يفسر لنا مبدئياً حالة الركود والتخلف الاجتماعي والمشكلات التربوية التي تعاني منها أنظمتنا التربوية والتعليمية في بلداننا العربية والإسلامية.

وتجاه هذا الركود والتأخر لا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي ؛ فلا بد من تضافر الجهود في كل المجالات والتخصصات لمواجهة هذه التحديات وانعكاساتها على مجتمعاتنا العربية والإسلامية **لقله تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم"** (سورة التوبة/ الآية 105). وانطلاقاً وإيماناً منا بقول الله تعالى تأتي أهمية العودة إلى فكر ابن سينا والنهل منه فيما يتعلق بتربية الطفل في مراحل الأولى والاستفادة من فكره في هذا السياق، إننا أحوج في هذه الأيام، أكثر من أي وقت مضى وفي ظل التحديات الخطيرة (تحديات عصر العولمة) إلى البحث والتمحيص أملاً في تشخيص المشكلة بكل انعكاساتها وتجلياتها وإيجاد الحلول المناسبة لها، من خلال ما سنستعرضه من فكر ابن سينا في التربية والصحة النفسية والجسدية للطفل؛ فالأمر هنا كما يبدو وواقع الحال بحاجة إلى نظرة تقريبية توفيقية بين الفكر التراثي والفكر التربوي المعاصر، وبالشكل الذي تفترضه متطلبات الحياة المعاصرة بكل ما أفرزت وفرضت علينا من مستجدات وأنماط سلوكيه ما كنا نحسب لها أي حساب.

ولعلنا هنا وبكل تواضع نشير الى اننا نستند إلى وجهات نظر ومقاربات ومفارقات تشير وبوضوح لا ريب فيه إلى وجوب العودة إلى الأصالة (جوهر الإنسان العربي المسلم) حيث تألق وأعتلى ريادة الحضارة الإنسانية ، ونشر العلم والمعرفة بكل مجالاتها ولزمن طويل، في الوقت الذي كان فيه الغرب يتخبط في عصر من الظلمات. هذا الكنز المدفون بين صفحات التاريخ (التراث العربي الإسلامي) بما فيه الفكر التربوي الذي نأتي على استعراضه عند ابن سينا؛ بحاجة إلى إعادة قراءة وتفحص في مفرداته ومعانيه، كي يتثنى لهذا الفكر تحقيق ذاته ويسهم من جديد في عودة الإنسان العربي المسلم إلى صفوه الأول، بكل ما كان فيه من قوة واندفاع وخير للأمة العربية والاسلامية وللعالم أجمع.

إن نشر التربية والتعليم وبناء الإنسان المتزن داخلياً وتعليم الانسان العربي المسلم العلوم الأصول والعلوم الحديثة، هو ما نسعى إلى ترسيخه وتقوية دعائمه؛ وذلك من خلال الإشارة إلى كيفية الاهتمام بالتربية النفسية والجسدية لأطفالنا كما يراها ابن سينا، فيلسوف النفس. فالعلم الحديث لا يهدف إلى البحث عن الحقيقة؛ بل إلى تطوير سبل البحث عنها، وبالذالة على سبل الأخذ بها، وذلك من خلال جعل الفرد (الإنسان) هو الحقيقة؛ فما زال الكثير منا، وحتى كبار الباحثين وفي معظم المجالات الفكرية يخضعون لتأثيرات جانبية وقد تكون جهوية، في تفكيرهم وإن لم يكن ذلك؛ فإنَّ هناك جوانب ذاتية قد كوَّنتها مخلفات القرون وغدَّتْها السَّنون ، حتى غدا الحفاظ عليها والدفاع عنها شرفاً وعرفاً وكرامةً وتأكيداً للذات وكما يُقال: المعدن الأصح ليس الذي يَبُتُّ وجوده، بل الذي يَبُتُّ مرونته وطراوته (أي جودة الجوهر).

ونستند هنا في كلامنا إلى حديثٍ لرسول الله محمد (ص) كان يقول بعد كل نصر في فتوحاته: "انتهى الجهاد الأصغر، وبدأ الجهاد الأكبر" (متفق عليه). من هذه المقولة تُتطرق دعوتنا إلى ما نسوِّيه بالواجب النفسي والتربوي، المتمثل في نشر الوعي النفسي والتربوي، كي يتشنى لنا الاهتمام بتربية أطفالنا بالشكل الأمثل، ومن ثم التربية والتعليم والعمل بكل ما أوتينا من قوة وتفكير لتتویر الظلمات؛ تلك الظلمات القابعة في النفوس؛ بحيث يقودها ذلك كله إلى الحرية والمحبة والتسامح، ومستندنا ومعتقدنا في ذلك نستمدّه من قوله تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب". (سورة الزمر/ الآية 9).

ولعل هذه الدعوة الى هذا النوع من الواجب والذي يمكنني إعتباره جهاداً ودعوة مفتوحة لكل إنسان قادر ومكلف؛ على أن يبدأ أولاً بنفسه وبأسرته إذا كان قادراً عليها، ومن ثم مساعدة غيره؛ فالإنسان كإنسان عاقل متّزن ما هو سوى نتاج طبيعي لهذه النوع من الواجب والجهاد الذي نمارسه، ولا نعلم قيمة وأبعاد هذا العمل إلا فيما بعد بحيث أن هكذا عمل لا تظهر مردوداته مباشرة؛ فهذا هو الطريق الذي من خلاله نستطيع أن نبني الإنسان الذي يشكل دعامة الامة و المجتمع الذي نصبوا اليه.

### ثانياً: مفهوم التربية

من خلال قراءتنا لمعالم الفكر التربوي والنفسي عند ابن سينا نموذجاً، ينبغي بدايةً عدم إغفال حقيقة أساسية هي: أن غرض التربية عنده يهدف أول ما يهدف إلى بناء الإنسان كل إنسان، أيّاً كان موقعه في المجتمع، ذلك لأن الإنسان محور هذه الحضارة وعنوانها؛ فهو خليفة الله في الأرض، استناداً إلى قوله تعالى: "ونفخت فيه من روحي" (سورة الحجر/ الآية 29). وقوله تعالى أيضاً: "إني جاعلٌ لكم في الأرض خليفة" (سورة البقرة/ الآية 30).

انطلاقاً من اعتقاد ابن سينا أن العلم والتعليم ينبغي أن يؤديا إلى ترسيخ الإيمان في نفوس الأفراد (غونتر، سبيستيان (2016)، ص 236). فقد أكد على ضرورة تأديب الطفل كهدف أساسي للتربية، وأهمية أن يتم ذلك في المرحلة الأولى من الحياة، فذلك يكون بمثابة إحاطته بنوع مما تُسمّيه "الوقاية الأخلاقية"، أي تجنيب الطفل كل ما يمكن أن يؤدي به إلى مقابح الأخلاق.

يؤكد ابن سينا في كتاب النفس، أن للجانب الوراثي عند الطفل، دور مهم في تربيته، ولعل هذا أيضاً ما تؤكد عليه الدراسات النفسية الحديثه؛ إذ أنّ لدى كل طفل دافع نحو الفضيلة أو الرذيلة، وبنفس المستوى؛ فالتنشئة الصالحة تقتضي تأديب وتهذيب الطفل وتوجيهه نحو الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة وذلك عن طريق تطبيق الفعل وتكراره. فيقول ابن سينا: "بالتكرار والعادة يتكون الخلق ويكتسب" (شمس الدين، عبد الأمير (1988)، ص 122).

ذهب ابن سينا إلى أن عملية التعلم إنما تبدأ من الحواس الخمسة، هذه الحواس التي بلغت أوجها عند الإنسان بحيث ميزته عن الحيوانات. كما أن وجود النفس أضفى على البشر قدرتين عقليتين: العقل النظري والعقل العملي. ومما يلفت النظر في فكر ابن سينا أنه صرح بأن قوام العقل النظري أربع عمليات متميزة محصورة بالبشر، هذه العمليات هي - من أدناه إلى أعلاها:

- القدرة على اكتساب المعرفة (أي العقل الهولاني).
  - القدرة على استخدام المعرفة المكتسبة ومن ثم التفكير (أي العقل بالملكة).
  - القدرة على توليد النشاط العقلي لتعقل المفاهيم الأكثر تعقيداً (أي العقل بالفعل).
  - القدرة على استبطان المعرفة بالعالم المعقول (أي العقل المستفاد)، وهو الحاكم لكل العمليات السابقة.
- أما غاية العلم فهي تحصيل هذه القدرة وحسن استخدامها. وهنا لا بدّ من أن نلفت انتباه كافة المشتغلين بالشأن التربوي، بأنه يمكن الاستفادة من هذه الأفكار في الأنظمة التربوية وفي إعداد الأنشطة التي تتضمن إشراك الأطفال الصغار في تجارب حسية، لأنها تسهم في تحفيزهم للتعرف على الأشياء، ومقارنتها وتصنيفها من خلال اكتشافهم للعالم الخارجي (غونتر، سبيستيان (2016)، ص 236-237).

كما ركز ابن سينا على سبل التربية، ولم يكن يُمانع من تهذيب الطفل باليد، لكن إذا تطلب الأمر ذلك؛ (معنى ذلك أن المربي قد لا يصل به المطاف إلى ضرب الطفل في حال استخدم الأساليب التربوية الأخرى وراقب سلوكه ووجهه بشكل صحيح)، حيث أكد أن يأتي الضرب عندما لا ينفع الترهيب أو الإعراض أو التوبيخ فقط، وأن لا يكون الضرب موجعاً أو مبرحاً وأن يكون هادفاً (شمس الدين، عبد الأمير (1988)، ص 124).

### ثالثاً: التربية الجسدية لطفل ما قبل المدرسة.

تعتبر صحة الأبدان في الشريعة الإسلامية مقدمة ودليل صحة الأديان؛ فصالح أمر البدن منطلق لصالح أمر الدين والدنيا. حتى إنّ الإمام الغزالي يعبر عن هذه الحقيقة الإسلامية بقوله: "إنّ نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا... فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن... إنّ نظام الدنيا شرط لنظام الدين". (الغزالي، أبو حامد د، س)، ص 135). من هنا نرى اهتمام الفلاسفة والمفكرين العرب بالجسد وتربيته.

بما أن ابن سينا له باع طويل في الطب وفي النفس وأحوالها؛ فمن الطبيعي أن يكون على دراية كافية حول كيفية العناية الجسدية وتربية الولد وتنشئته تنشئة صالحة فاعلة في المجتمع. كما أنه من الطبيعي أن يركز في فكره في المراحل الأولى من حياة لطفل على الناحية الجسدية، لكون الإنسان يولد ككائن بيولوجي ليتحول بفعل التربية إلى كائن اجتماعي، لذلك نجد التربية عنده مُقسّمة إلى مراحل تبدأ منذ سن الولادة إلى سن الثلاثين، وكل مرحلة لها متطلباتها وخصائصها تربوياً وتعليمياً. سوف نقتصر في بحثنا هذا على المرحلة الأولى من حياة الطفل وهي: منذ الولادة حتى دخول المدرسة، تاركين المراحل الأخرى إلى منشورات لاحقه بعون الله تعالى .

في هذه المرحلة، نجد ابن سينا كثير العناية بصحة الطفل كي يكون مهياً جسدياً ونفسياً للتعلم والتربية الدينية الصحيحة، فنجده يركز على الرضاعة التي تعتبر الرابط الأول للطفل بالحياة، فيشدد على ضرورة أن تكون من الأم، وألا تكون مباشرة بعد الولادة كون المرأة تكون في حالة من الألم تجعل من حليب الأم غير طبيعي قد يسبب أذية للطفل. فيقول ابن سينا: "فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه؛ فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم... و يجب أن يُكتفى على إرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، وألا تبدأ في أول الأمر بإرضاعه إرضاعاً كثيراً؛ على أنه يُستحب أن تكون من ترضعه في الأول غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه. (ابن سينا - كتاب القانون- (1294هـ)، ص 151) .

كذلك كون ابن سينا الطبيب والحكيم، نجده يحدد شروطاً للرضعة التي ستحل مكان الأم في إرضاع الطفل، وهي: أن لا تكون معلولة وأن يكون سنّها بين (25-35) وهو سن الشباب والعافية والقوة. يفسر ذلك بأنه عن طريق الحليب سينتقل كل ما في الأم من خصال وصفات، سلبية أم ايجابية إلى الطفل، لذلك نجده يضع العلاج لحال كل مرضعة تعاني من مشاكل صحية (ابن سينا - كتاب القانون- (1294هـ) ص 152).

الصفحة: 21 – 34	المجلد: 11 / العدد: 01 / 2023	اسم ولقب المؤلف: جمال طوبال	عنوان المقال: الصحة النفسية وتربية الطفل من الولادة حتى دخول المدرسة - دراسة تحليلية لفكر ابن سينا
-----------------	-------------------------------	-----------------------------	--

حتى أن ابن سينا يشترط في من ترضع الطفل (غيرأمة) شروطاً تبدو في غاية من الدقة والمعرفة المختصة. وإذا ما قارنا بين هذه الشروط ونتائج دراسات علم الطب الحديث والعلوم الشرعية أيضاً، نلاحظ ان نتائج العلم أكدتها والشّرع يحرص عليها. نُجمل هذه الشروط، كما وردت على لسان ابن سينا بالآتي:

- أن يكون قد مضى على ولادتها أكثر من شهرين.
- أن تكون ولادتها لذكر.
- أن تكون ولادتها طبيعية.
- ألا تكون قد أسقطت أو اعتادت على الإسقاط.
- أن تمارس رياضة معقولة.
- أن تتغذى بالأغذية الصحية (مثل الحنطة واللحوم والسمك والخس واللوز والبندق).
- أن تبتعد عن الأغذية التي تفسد اللبن.
- أن تبتعد عن الجماع والحبل لأن في ذلك ضرر على الوليدين: المرتضع والجنين (ابن سينا - كتاب القانون- (1294هـ)، ص152) .

كما يركز ابن سينا على ضرورة الطعام الصحي للطفل، ابتداءً من الرضاعة الصحية وصولاً إلى الغذاء الصحي لاحقاً، فنرى أنه يُدكّر بضرورة إطعام الطفل العسل؛ والعسل كما هو معروف عند العرب (قلته دواء وكثرته غداء). فيما يتعلق بالعقاب الجسدي للطفل، أجاز ابن سينا الضرب، لكن إذا تطلب الأمر ذلك، وأن يأتي الضرب عندما لا ينفع الترهيب أو الإعراض أو التوبيخ، وألا يكون موجعاً أو مبرحاً وأنه ينبغي أن يكون هادفاً. لعلنا نرى ذلك في قوله: "إذا كانت موجهة، ساء ظن الصبي بما بعدها، واشتد منها خوفه، وإذا كانت خفيفة غير مؤلمة، حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به" (شمس الدين، عبد الأمير (1988)، ص124).

#### رابعاً: التربية النفسية للطفل ما قبل المدرسة

تعتبر مسألة النفس من بين البحوث المهمة التي خصص لها ابن سينا رسائل عديدة في متن مؤلفاته الشهيرة كالشفاء والنجاة والتعليقات والإشارات التنبيهات، وقد وضع نظرية متكاملة في هذا السياق (عبد العزيز، خيرة (2016)، ص48) ، يقول ابن سينا أن حقيقة النفس مغايرة للجسد " النفس ليست بمزاج، فإنه إذا تغير عن صحته واعتداله فإنه لا يحس بتغييره وهو غير باق على صحته بل قد تغير فيجب أن يكون المدرك لتغييره شيئاً ثابتاً هو النفس التي هي كماله" (ابن سينا - تعليقات - حسن مجيد العبيدي (2002)، ص91). من هذا القول، نرى أن التربية الجسدية هي مقدمة إلى تربية النفس ورفعتها، وفي قراءة متأنية لفكر ابن سينا، نلاحظ أن التربية



الجسدية لا تنفصل عنده عن التربية النفسية، فمعظم أفكاره عن صحة الطفل والأم والمرضعة كانت مرفقةً بنصائح نفسية تعتبر من ركائز علم الصحة النفسية المعاصر.

في كتاب القانون، يركز ابن سينا على صفات معينة للمرأة التي ترضع الطفل مكان والدته، ويركز على معايير نفسية وجسدية، انطلاقاً من أن هذه الصفات تنعكس إيجاباً على صحة الطفل النفسية من جهة، ويتشربها من مربيته من جهة أخرى.

كما أن ابن سينا اهتم بموضوع الطعام، لما له من الآثار والانعكاسات الجسدية والنفسية على الطفل. فيؤكد على ضرورة أن لا يتم الفطم دفعة واحدة، بل على دفعات، سواء من أمه أو من المرضعة، فيقول: "يجب أن يكون الفطام بالتدرج لا دفعة واحدة" (ابن سينا - كتاب القانون- (1294)، ص 153).

من جهة أخرى، نراه يركز كثيراً على كيفية تعامل الأم مع رضيعها أثناء الرضاعة والفطام، حرصاً منه على سلامة صحة الطفل النفسية والجسدية وبالتالي العقلية، حتى أنه يُذكر بضرورة إطعام الطفل طعام صحي وضرورة تركه يلعب حسب ميوله. كما ينصح الأساتذة بالتيقظ إلى قدرات التلامذة الطبيعية، وباختيار مطالب دراسية تكافئ طاقاتهم الذهنية ومبلغ عملهم (غونتر، سبيستيان (2016)، ص 239). نلاحظ هنا أن أفكاره تتقاطع مع ما تؤكد الدراسات النفسية والتربوية في عصر النهضة والعصر الحديث، والتي تؤكد على ضرورة ترك الحرية للطفل، ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، بحيث نتوجه لكل طفل حسب ميوله ورغباته.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر وجهة نظر جان جاك روسو، رائد التربية الطبيعية، في هذا المجال. يطالب روسو الراشدين (أهل ومعلمين) بترك الطفل ينمو بمفرده في الطبيعة دون تدخل الكبار حتى سن الحادية عشر، وهو السن الذي يستطيع الطفل فيه التفكير وتقبل الأفكار من خلال عقله لا بالتشرب العفوي من المجتمع، كما شكلت هذه الفكرة لابن سينا تقاطع مع أحدث الاتجاهات التربوية الحديثة المتمثلة بالتربية الفارقة التي توجه على ضرورة التوجه للطفل حسب العمر والقدرات... الخ. نشأ تبعاً لذلك أحد فروع التربية هو: التربية الخاصة (التي تتوجه للمعوقين والمتفوقين).

كما وضع ابن سينا برنامج يومي لتربية الطفل، تستطيع الأم الاستعانة به في تربية ابنها، حين قال: "وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يُخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يُطعم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ثم يُغدى" (ابن سينا - كتاب القانون- (1294هـ)، ص 157).

فيما يتعلق بالتربية الانفعالية، ركز ابن سينا على التربية الانفعالية للطفل ولفت النظر إلى أهمية الاستقرار العاطفي، لأنه يحفظ للطفل نموه الذهني والجسدي (غونتر، سبيستيان (2016)، ص 239). كما دعا إلى التربية من

خلال الموسيقى، التي يراها ضرورية للطفل لتنمية أحاسيسه ومشاعره، وبالتالي كي يتعلم الشعر والأوزان، كما كان يقدر الشعر تقديراً عالياً في كونه وسيلة تعليمية، وخاصة للأطفال، فهو زيادة على كونه يعطي متعة للطفل، يقوي ذاكرتهم بسبب لغته المتوازنة تراكيبه المسبوكة، كما يهيئهم لاستيعاب مفاهيم أكثر، كما يعودهم المحادثة الصحيحة بانتقاء الألفاظ المناسبة (غونتر، سيبستيان (2016)، ص240).

من جهة أخرى، يؤكد ابن سينا على أن طبيعة الطفل تتطلب رعاية فائقة وحسن توجيه نحو الأفضل، وذلك يحتاج إلى ثواب وعقاب، اللذان تتعدد أشكالهما من وجهة نظره: ابتداءً من الترهيب أو الإعراض أو التوبيخ... الخ، لتصل إلى الضرب (لكن شدد على أن يكون باليد). رأى ابن سينا أنه لا ضير بالضرب طالما فيه ضمان للخلق الكريم والسلوك المهذب والإيمان الصحيح، لكن أكد ضرورة أن لا يكون موجع، كون "إذا كانت موجع، ساء ظن الصبي بما بعدها" (شمس الدين، عبد الأمير (1988)، ص124).

لا بد لنا أن نشير في نهاية حديثنا عن التربية الجسدية والنفسية عند ابن سينا إلى أنه قد ربط بين النمطين، من خلال تأكيده على ضرورة تركيز التربية على مراعاة أخلاق الطفل التي تقود إلى صحة النفس والبدن، فيقول: "يجب أن تكون التربية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد، خوف شديد أم غم، أو سهر وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهي ويحن إليه، فيقرب عليه، وما الذي يكرهه فينحى عن وجهه. وفي ذلك منفعتان، إحداهما في نفسه: بأن ينشأ من الطفولة على حسن الأخلاق ويصير له ملكة لازمة. والثانية لبدنه: فكما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، فكذلك إذ حدث حادث عن العادة استتبع سوء المزاج المناسب لها... ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً معاً" (ابن سينا - كتاب القانون - (1294هـ)، ص 208-209).

من المعروف أن لكل عصر مفرداته في كل مجال من مجالات المعرفة، فإذا كان ابن سينا لم يستخدم تلك المسميات، لكن الغاية والهدف من أفكاره هي نفسها التي يتبناها علم النفس التربوي الحديث. هذا بالإضافة إلى الإهمال الفادح في تناول الفكر التربوي والإرث النفسي عند ابن سينا؛ فهو كغيره من المفكرين والتربويين في عالمنا العربي والإسلامي ما زالوا بحاجة إلى دراسة وتأمل وتحليل عميق في تراثهم الفكري عموماً والتربوي خصوصاً. يقول شلبي: "إن عمق تفكير ابن سينا ورجاحة عقله تجعله سابق على عصره بألف سنة" (شلبي، أحمد (1960)، ص269).

أن الكثير من الأفكار التربوية الحديثة لمربين غربيين وأجانب، التي قد ترجمها أساتذة عرب على أنها من مبادئ التربية الحديثة؛ تعود في الأصل لابن سينا وغيره من المفكرين العرب. فليس غريباً على أحدٍ كم تأثر القديس توما الأكويني بفلسفة ابن سينا.

يؤكد (سمعان، صادق (1962) ص208، 207)، في كتابه دراسات في التربية المقارنة أنه: "نكاد لا نقرأ تلك الاهتمامات لابن سينا ونقارنها بما ينادي به رجال التربية المحذثون عن برامج رياض الأطفال إلا ونشعر أن ابن سينا لا يترك لهم جديداً في هذا الميدان، بل إنه قد سبق هؤلاء جميعاً في هذا المجال، فقد سبق كومينوس (1592-1670) الذي يقال عنه أنه كان من أوائل الذين فكروا في إنشاء مدارس الصغار، وكذلك فروبل (1782-1852) الذي يُقال عنه أنه مُنشئ أول رياض الأطفال". لعل ما ذكر هنا من سبق حضاري وفكري لابن سينا يشكل عامل دعم لما طرحناه في مقدمه بحثنا هذا، والتي أشرنا فيها الى ضرورة التوفيق في حل مجمل هذه المشكلات المتأتية عن سيادة نظام العولمة والتطور المعرفي والتكنولوجي وتأثيراته السلبية على مجمل مفاصل حياتنا الاجتماعية.

إن ابن سينا نجده هنا يركز على مرحلة الطفولة المبكرة، وعلى ضرورة تأديب الطفل في هذه المرحلة؛ فبهذا نحن نقى الطفل أخلاقياً، أي نجنبه الأخلاق السيئة؛ كون الصبي برأيه يكون في هذه المرحلة سريع الاكتساب وسهل الالتقاط للفضيلة والرذيلة على السواء؛ ففي التربية الحديثة نرى تقاطع لفكرة ابن سينا هذه مع قول ديوي (رائد المدرسة البراغماتية) في كتابه المدرسة والمجتمع يقول: "إن الفرق بين الهمجية والتمدن لا يقع في الطبيعة المجردة التي يجابها كل منهما؛ ولكن في كل من الوراثة الاجتماعية والوسائل الاجتماعية" (ديوي، جون (1978)، ص101). أي أن الطرق التي يتعامل فيها المجتمع (الأهل) مع أبنائهم هي التي تحدد لاحقاً السمات الخلقية والعقلية لهم. كما ويتقاطع هذا الكلام مع وجهة نظر واطسون (رائد المدرسة السلوكية) الذي أكد على دور المحيط في تشكيل السلوك الإنساني فيقول: "إنني أشعر بالثقة التامة بالنتيجة الطيبة لتربية جيدة لوليد سليم الجسم، حسن الخلق، ولو كان من سلالة محتالين وقتلة ولصوص و بغايا" (حمصي، أنطون (2000)، ص159).

كما أن اهتمام ابن سينا بأساليب التربية وتركيزه على ضرورة استخدام الثواب والعقاب مع الطفل (ضمانة لرعاية فائقة وحسن توجيه نحو الأفضل للطفل) تقاطع مع فكر عدة نظريات تربوية معاصرة، لا سيما المدرسة السلوكية التي أرسى دعائمها واطسن (رائدها) على العلاقة بين: مشير واستجابة، ثم تعزيز. والتعزيز هو مصطلح

تربوي حديث حل مكان الثواب (تعزيز إيجابي) والعقاب (تعزيز سلبي). فطالما أنّ هناك خير وشر، وعقل وحرية وإرادة، ونزوة؛ فإن العقاب والثواب مطلوبان، وأكدت على ضرورة استخدامهما كل النظريات والدراسات التربوية، سواء أكانت تقليدية أم حديثة أم معاصرة، لكن ضمن شرط: أن يكونا وسيلة وليس غاية بحد ذاتيهما.

## خاتمة:

مما تقدم ذكره من الفكر التربوي والنفسي لابن سينا وغيره من المفكرين والباحثين والتربويين المعاصرين، نجد حرصهم الشديد على الاهتمام بالطفل وتربيته جسدياً ونفسياً، في كل مراحلها وبالأخص الطفولة المبكرة، تلك المرحلة التي تساهم في تهيئته لدخول المدرسة، وهو بكامل استعداداته وقدراته. ذلك إذا ما أردنا لأبنائنا أن يتمتعوا بصحة جيدة واستعداد نفسي كي ينخرطوا في الحقل التربوي، وبالتالي يتثنى لهم أن يبدعوا ويسهموا في بناء أنفسهم وأوطانهم، ويدخلوا معترك الحياة من بابه العريض ويكونوا عنصراً فاعلاً في المجتمع الذي يعيشون به بالدرجة الأولى والمجتمع الانساني الذي ينتمون إليه عموماً، سيما وأن التربية كانت ومنذ القدم، الوسيلة الشريفة والمهنة المقدسة لتهديب الإنسان وتطوير قدراته وإمكانياته البدنية والعقلية بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وبالشكل الذي يخدم البلاد والعباد. فلطالما نحن مقتنعين أننا جميعاً في مدرسة الحياة معلمين ومتعلمين بأن واحد؛ أي أنه يجب أن ندرك بأن كلاً منا يبقى يتعلم طيلة حياته وجميعنا بالتالي معلم ومتعلم وأن ذلك هو الواجب الإنساني التربوي والواجب الديني والخلقي الذي علينا الالتزام به جميعاً.

لعلّ هذه الآراء جميعاً مع غيرها من التي يذكرها ابن سينا، في مواضع مختلفة من مؤلفاته، تتفق كما ذكرنا مع الأفكار التي يُقرها علم النفس التربوي الحديث، وإنّ ابن سينا بذلك يكون قد وضع اللبنة الأولى في البناء الفكري النفسي والتربوي، كي تكون معيناً لنا كمختصين في ميدان التربية ولجميع الناس، وبشكل نستطيع من خلاله أن نعود من جديد ونلحق بركب حضارة الأمم المتحضرة، ونساهم في بناء صرح الحضارة الإنسانية (كما كان أجدادنا العرب المسلمون) ضمن ضوابط ومعايير أخلاقية ودينية واجتماعية تضمن للإنسان حرّيته وكرامته، ونحافظ بها ومن خلالها على هويتنا ووطننا وديننا الحنيف .

## أهم الاقتراحات التي نقدمها :

1. ضرورة إيلاء الفكر التربوي العربي والإسلامي اهتماماً كبيراً " كفكر ابن سينا (نموذجاً) ّ لما له من

أهمية في تطوير الأنظمة التربوية في حال تم العودة له والاستفادة منه.

الصفحة: 21 – 34	المجلد: 11 / العدد: 01 / 2023	اسم ولقب المؤلف: جمال طوبال	عنوان المقال: الصحة النفسية وتربية الطفل من الولادة حتى دخول المدرسة - دراسة تحليلية لفكر ابن سينا_
-----------------	-------------------------------	-----------------------------	---

2. إعداد دليل تربوي شامل يحتوي هيكلية عامة لنظام تربوي (ابتداءً من فلسفة التربية، الأهداف التربوية، الطرائق، الأساليب... الخ) مستند إلى الفكر العربي والإسلامي .
3. الاستفادة من فكر ابن سينا بصورة خاصة في تفعيل التربية الجسدية والصحية في أنظمتنا التربوية (التي نلاحظ أنها مهملة في بلداننا، حيث نركز على النمو والتربية العقلية ونهمل باقي أنواع التربية)، انطلاقاً من أن إيماننا بأن العقل السليم في الجسم السليم.
4. إحداث التكامل في الأدوار بين المرشدين الاجتماعيين والنفسانيين بتفعيل أهمية الصحة الاجتماعية والنفسية للطفل ، بزيادة عدد كل من المرشدين النفسانيين، والمرشدين الاجتماعيين في علم الاجتماع العائلي، في المؤسسات التربوية وتدريبهم بشكل مستمر، للاهتمام بالتربية الصحية الاجتماعية والنفسية للتلاميذ، لما لذلك من شان في تنشئة الأجيال.
5. إدخال مقررات للصحة النفسية والجسدية وتدريبها في المدارس والجامعات، بالاستناد بما كتبه المفكرين العظماء كابن سينا.
6. نشر فكر ابن سينا التربوي (وغيره من المفكرين المسلمين) لجميع أفراد المجتمع، وذلك من خلال تخصيص برامج توعويه عبر وسائل الاتصال والإعلام المرئي والمسموع.
7. تشجيع البحث العلمي في هذا المجال ونشر نتائج الأبحاث لعامة الناس.
8. التعاون مع مؤسسات الدولة الاخرى كالمؤسسات الدينية، والثقافية وغيرها من المؤسسات الاخرى، في إحياء ونشر التراث الفكري العربي الإسلامي.

## قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أحمد، شلبي (1960). تاريخ التربية الاسلامية، مصر : المكتبة الانجلو مصرية.

الصفحة: 21 – 34	المجلد: 11 / العدد: 01 / 2023	اسم ولقب المؤلف: جمال طوبال	عنوان المقال: الصحة النفسية وتربية الطفل من الولادة حتى دخول المدرسة - دراسة تحليلية لفكر ابن سينا
-----------------	-------------------------------	-----------------------------	--

3. ابن سينا (2002). التعليقات، تحليل حسن مجيد العبيدي، بغداد: بيت الحكمة.
4. ابن سينا (1911م). كتاب السياسة (مقالات فلسفيه)، تحقيق لويس شيخو، مصر: مطبعة بولاق.
5. ابن سينا (1294هـ). القانون، القاهرة: مصر، مطبعة بولاق.
6. جرجي، زيدان (1930). تاريخ آداب اللغة العربية، مصر: طبعة الهلال.
7. حمصي، انطون (2000): مدارس علم النفس، سوريا: منشورات جامعة دمشق، ط5.
8. ديوي، جون (1978). المدرسة والمجتمع، ترجمة/ أحمد حسن الرحيم، لبنان: مكتبة الحياة.
9. شمس الدين، عبد الأمير (1988). المذهب التربوي عند ابن سينا من خلال فلسفته العملية، لبنان: الشركة العالمية للكتاب، ط1.
10. صادق، سمعان (1962). الفلسفة والتربية، مصر: دار النهضة العربية.
11. عبد العزيز، خيرة (2016): " مفهوم النفس عند ابن سينا إرهاصات الصياغة النظرية في علم النفس "، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية (قسم الآداب والفلسفة)، العدد 16.
12. غونتر، سبيستيان (2016). آراء العلماء المسلمين القداماء في نظرية التربية، مجلة التفاهم: نحو خطاب إسلامي متوازن، العدد 51.
13. مرجبا، عبد الرحمن (1970): من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية، لبنان: دار عويدات.
14. مطبعة أحمد، و زمرد أميرة (2015) "دراسة تقويمية لبرنامج رياض الأطفال في كلية التربية في جامعة تشرين من وجهة نظر طالبات السنة الرابعة، مجلة جامعة تشرين، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد.37، عدد.3.
15. الغزالي، أبو حامد (د.ت). الاقتصاد في الاعتقاد، مصر: مطبعة صبيح.
16. البيشي، غزيل حسين سعد (2008) " الحاجات الإرشادية لمعلمات ريا: الأطفال في منطقة تبوك التعليمية"، رسالة ماجستير، الأردن: الكرك، جامعة مؤتة.